الجهاد الأوروبي: أنماط التطرُّف الإسلامي والإرهاب في أوروبا
انجل باباسا وشيريل بينارد

EuroJihad: Patterns of Islamist Radicalization and Terrorism in Europe

By: Angel Pabasa and Cheryl Benard
Cambridge University press, 245pp., $32.99, 2015, 9781107437203

عرض: أحمد عبدالعليم، باحث متخصص في الشؤون العربية

أصبحت أوروبا خلال السنوات الأخيرة مسرحاً لتنفيذ هجمات إرهابية كبرى كتفجيرات مدريد في مارس 2014، وتفجيرات لندن في يوليو 2005، وفي هذا الإطار؛ صدر كتاب "الجهاد الأوروبي: أنماط التطرُّف الإسلامي والإرهاب في أوروبا"، للوقوف على أسباب تطرف بعض المسلمين، ويكتسب هذا التساؤل أهمية كبيرة في ضوء أن المسلمين يشكلون حوالي 15 – 17 مليون مسلم، كما أنهم يعتبرون من أسرع الجماعات الديمغرافية نمواً في المجتمع الأوروبي.

ويختلف هذا الكتاب مع الرؤية الغربية التي ترجع أسباب التطرف إلى عدم اندماج المجتمعات المسلمة في القارة الأوروبية، وذلك نظراً لأن الغالبية العظمى منهم، وإن كانوا غير مندمجين، فإنهم في الوقت نفسه غير متطرفين، فضلاً عن محدودية عدد المنضمين للجماعات المتطرفة.

أنماط التطرف

ويرى الكتاب أن أسباب التطرف ليست واحدة بين مختلف الجماعات المسلمة في أوروبا، ولذلك يجب التمييز بين أنماط التطرف، والتي تتمثل فيما يلي:

• **تطرف الجيل الأول من المهاجرين:** وتتمثل الشريحة التي تطرفت منهم في بعض اللاجئين السياسيين، والذين مارسوا العنف بعدما لجأوا إلى إحدى الدول الأوروبية واستقروا فيها، وذلك إما بسبب دعمهم نظم الحكم التي قامت بقمعهم، أو تبني تلك الدول سياسة خارجية معادية للإسلام.

• **تطرف الجيلين الثاني والثالث من المهاجرين:** والذين مارسوا العنف ضد المجتمع، على الرغم من اندماجهم ظاهرياً، كما استطاع بعضهم الوصول لمرتبة الطبقة المتوسطة.

وتعود أسباب تطرفهم إلى شعورهم بعدم الرضا والاغتراب، وهو الأمر الذي يفتح الباب أمام تقبلهم الأفكار المتطرفة، وقد يتسبب في هذا الشعور أحد سببين، يتمثل أولهما في "فقدان الهوية"، فهم لم يستطيعوا تقبل الثقافة التقليدية لآبائهم أو الثقافة الحداثية للمجتمعات الغربية، وهنا تسللت الجماعات المتطرفة، لتقدم لهم هوية جديدة باعتبارهم جزءاً من "أمة إسلامية"، كما دعمتهم للقيام بأعمال انتقامية للرد على مظلوميتهم وشعورهم بالاضطهاد، خاصة إذا نظروا للغرب باعتباره في صراع وجودي مع الإسلام.

أما السبب الثاني، فيتمثل في نظرية "الحرمان النسبي"، وينطبق ذلك على الشباب الأوروبي المتطرف من أبناء الطبقة الوسطى، الذين على الرغم من تلقيهم تعليماً جيداً، إلا أنهم يعملون في وظائف متدنية لا تناسب خبرتهم العلمية، وبالتالي شعروا بحرمان نتيجة لارتفاع سقف طموحاتهم مقارنة بالفرص المتاحة أمامهم.

• **تطرف المتحولين إلى الإسلام:** ويعود السبب الرئيسي وراء تطرفهم في طريقة تحولهم إلى الإسلام، فالتحول إلى الدين الإسلامي من خلال الجماعات الصوفية يدفعهم إلى تبني الإسلام المعتدل، أما اعتناق الإسلام من خلال الجماعات السلفية المتطرفة، يجعلهم يتبنون التطرف، ومن جهة أخرى، فإن ضعف المستوى التعليمي للمتحول إلى الإسلام، أو خلفيته الإجرامية تجعله يتقبل أي شيء عن الإسلام، حتى لو كان مغالياً في التطرف.

الاقترابات الجديدة

تمثلت الاقترابات الأوروبية الجديدة في التعامل مع التطرف فيما يلي:

• **التحاور مع المسلمين:** وكانت العديد من الدول الأوروبية كبريطانيا تفضل التحاور مع المنظمات المحافظة بدلاً من الليبرالية، وذلك على أساس أنهم يتمتعون بمصداقية أكبر في نظر الشباب المتطرف، ومن ثم يمكن السيطرة عليهم ومنعهم من القيام بأعمال إرهابية، ولكن هذه الاستراتيجية سمحت ببناء مجتمعات إسلامية موازية منعزلة عن المجتمعات الأوروبية، وقد تم إدراك خطأ هذه الاستراتيجية، وبدأت في التواصل مع المنظمات الإسلامية المعتدلة.

• **بناء آليات أكثر فاعلية لمكافحة التطرف:** وذلك من خلال التوسع في إصدار تشريعات لمكافحة الإرهاب، وما يترتب على ذلك من زيادة قدرة الأجهزة الأمنية في التجسس، وهو ما أضر كثيراً بالحريات المدنية.

• **تعزيز التعاون بين دول الاتحاد الأوروبي:** وإن كان أحد أبرز عوائق هذا التعاون وجود شك متبادل بين أجهزة الاستخبارات الأوروبية.

وفي الختام، يؤكد الكتاب أن أوروبا سوف تعاني خطر التهديد الإرهابي الإسلامي في المستقبل المنظور، في المقابل هناك محدودية في أعداد المنجذبين له، وهي الفرضية التي تبقى مثيرة للجدل، خاصة مع نجاح "داعش" في تجنيد أعداد لا يستهان بها، ودفعهم إلى ساحات المعارك في سوريا والعراق، أو للقيام بعمليات إرهابية في الغرب.